مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد (٣)، ص ص ٨٨١-٩٤٩، (رجب ١٤٣٦هـ/إبريل ٢٠١٥م)

دعوى الجاهلية ومظاهرها
دراسة عقدية

د. أحمد بن جزَّاع بن محمَّد الرضيمان
الأستاذ المساعد في قسم الثقافة الإسلامية بجامعة حائل

ملخص البحث. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

لقد أذهب الإسلام كِبر الجاهلية وفخرها بالآباء، ونعني بالجاهلية الحالة التي تكون عليها أمة من الأمم، من الضلال، قبل مجيئها هدى الله تعالى، وتلك هي الجاهلية العامة، التي زالت بالإسلام، وثمّ جاهلية خاصة، وهي التي تكون في شخص دون شخص، أو في بلد دون بلد، ولقد عالج الإسلام أفكار الجاهلية وأحكامها وأخلاقها ومعاملاتها، وذم دعواها ، ودعوى الجاهلية:كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة.

ومن أهم مظاهر الجاهلية:

١- الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب.

٢- التنادي والتعصب للقبائل أو الأحزاب أو المشايخ.

٣- الرايات العمية، ومنها الرايات القومية.

وتتلخص أسباب دعوى الجاهلية فيما يلي:

١- الظلم والجهل.

٢- طلب السمعة وما تهوى الأنفس.

٣-كيد الأعداء من الكفار والمنافقين.

ودعوى الجاهلية ليست نسيجا واحدا، فمنها ما هو كفر كالاستعانة بالموتى وطلب المدد منهم. ومن ذلك أيضا ظنون الجاهلية، كما في قوله تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

ومن ذلك طلب تحكيم آراء البشر وأهوائهم بدلا من شريعة الله تعالى.

وبعض دعاوى الجاهلية ذنوب وأخطاء ومعاصٍ كالتعصب للأحزاب والقبائل والأشخاص.

والضابط في معرفة المكفر وغير المكفر من دعاوى الجاهلية: كل عمل من أعمال الجاهلية، يتضمن عبادة لغير الله، أو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، أو صرف شيء من العبادة لغير الله، أو سوء ظن بالله ورسوله وتكذيب لهما، ونحو ذلك من نواقض الإسلام؛ فهو كفر بالله، وما سوى ذلك فهو من قبيل الذنوب والمعاصي.

ومن آثار دعوى الجاهلية:

١- العذاب والإهانة، فقد وصفها النبي ﷺ بأنها خبيثة ومنتنة.

٢- التفرق وذهاب الريح وزوال النعمة.

٣- تسلط الأعداء.

٤- انتشار المبادئ الهدامة والأفكار الضالة.

وثمّ علاج ناجع لداء دعوى الجاهلية يتلخص فيما يلي:

١- الاعتصام بالكتاب والسنة.

٢- التواضع والعدل.

٣- استعمال الألفاظ القوية عند الحاجة، ونقصد بذلك التغليظ في القول لأصحاب هذه الدعوات.

وفي النهاية، نسأل الله تعالى أن يعيد هذه الأمة إلى عقيدة الإسلام الصافية، وأخلاقه السامية.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

أما بعد:

فإن دين الإسلام، دين جماعة وائتلاف ورحمة، وقد أقام هذا الدين لرابطة عظيمة بين أهله، هي رابطة الدين، ومنع من كل ما يعكر صفوها، ومن ذلك أنه حذر من دعوى الجاهلية، بصفته مرض عضال، ينافي التوحيد أو كماله الواجب، ويفرق المجتمع ويشتته، ويزيل النعمة، ويوجب العداوة والنقمة.

وقد وردت النصوص الشرعية في التحذير من ذلك المرض، والتذكير بنعمة الله علينا ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٤]. فنعم الله علينا لا تحصى.

ومن ذلك أنه تعالى هدانا للإسلام، وأنزل علينا خير كتبه، وأرسل إلينا أفضل رسله، فألف الله بين القلوب ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[٥]. ومع هذا الخير والفضل والنعمة إلا أن هناك دعوات جاهلية، تسعى للتحريش، وتغذي تلك الحميات الجاهلية المنتنة، تريد إحياءها جذعة.

ولما رأيت خطورة هذا الأمر، وأهمية معالجته، عزمتُ متوكلا على الله، أن أكتب بحثا في هذا الموضوع، وأسأل الله تعالى التوفيق والإعانة.

أهداف البحث

١ - بيان فضل الله، ونعمته علينا بالإسلام، وأنه مصدر عزنا، ومهما ابتغينا العزة في غيره، أذلنا الله.

٢ - بيان أنواع الجاهلية، ومظاهرها، وأسبابها، والآثار السيئة، لدعواها، وعلاجها.

٣ - بيان أن استبانة سبيل الجاهلين، يجعل المسلم شديد الحذر منه.

أهمية البحث وأسباب اختياره

١ - كونه يتعلق بأصل من أصول الإسلام، وهو اجتماع الكلمة، على كلمة التوحيد.

---

(٤) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٥) سورة الأنفال: ٦٣.

٢ - أن دعوى الجاهلية تُذهب النعمة، وتُذهب الريح، وتُسلط الأعداء؛ مما يتوجب معه التذكير والتحذير من سنن الجاهلية.

٣ - كثرة خصال الجاهلية في هذا الزمان، عند شريحة واسعة من المجتمع؛ مما أدى إلى ظهور بعض بوادر الفتن والعداوات. توكيد الرسول ﷺ أن ثمة أمورا من أمور الجاهلية، ستبقى في هذه الأمة (أي في مجموعها لا في جميعها)؛ مما يستدعى النصح والبيان.

٤ - كثرة الوسائل المغذية لدعاوى الجاهلية في هذا الزمان.

الدراسات السابقة

١ - كتاب «مسائل الجاهلية» للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -، وشروحه لعدد من أهل العلم، وهو كتاب نافع جدا؛ لكنه لم يبين أسباب دعاوى الجاهلية وآثارها وحكمها وعلاجها، وإنما هو جمع للمسائل التي فعلها المشركون بصفة عامة، وخالفهم رسول الله ﷺ فيها.

٢ - مقالات وخطب في التحذير من العصبية الجاهلية، لمجموعة من طلاب العلم، وهي مفيدة لكنها مختصرة، تناسب الخُطب أو المقالات الصحفية.

خطة البحث

تضمن هذا البحث تمهيدا، وخمسة مباحث، على النحو الآتي:

التمهيد: بيان أن الله تعالى أذهب عن المسلمين عُبية الجاهلية.

المبحث الأول: المقصود بالجاهلية ودعواها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الجاهلية وأنواعها.

المطلب الثاني: دعاوى الجاهلية ومظاهرها.

المبحث الثاني: أسباب دعوى الجاهلية.

المبحث الثالث: حكم دعوى الجاهلية.

المبحث الرابع: آثار دعوى الجاهلية.

المبحث الخامس: الدواء الشافي لدعاوى الجاهلية.

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

منهج البحث

١ -جمعتُ الآيات والأحاديث في موضوع دعوى الجاهلية.

٢ -جمعتُ أقوال العلماء وشُراح الحديث في هذا الموضوع.

٣ -درست النصوص الشرعية، وأقوال العلماء في شرحها.

٤ -بينت العلاقة بين هذا الموضوع، وبين أصل من أصول الاعتقاد وهو الاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف.

٥ -قمتُ بعزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله تعالى.

٦ -قمت بتخريج الأحاديث النبوية.

٧ -عزوت الأقوال إلى أصحابها.

وبعد هذا الجهد الذي أصف – بلا تردد – بأنه جهد المقل، أسأل الله ﷻ أن يجعله مباركا نافعا، إنه على كل شيء قدير.

التمهيد: بيان أن الإسلام أذهب عُبِّيَّة الجاهلية

بعث الله تعالى نبيه محمدا ﷺ على حين فرقة من الناس، وعداوات وثارات وتشتت وجهالة، فجمعهم الله تعالى به بعد الفرقة، وهداهم الله تعالى به بعد الضلالة، وأغناهم الله تعالى به بعد العيلة، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[٧].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**»[٨].

والمقصود بـ (عُبية الجاهلية): نخوتها، والعُبية: الكِبرُ والفخر والنخوة[٩].

ومعرفة الإنسان لقبيلته وانتسابه لها، والمحافظة على ذلك، ومعرفة تاريخها؛ لا يُذم في الشرع، بل هو أمر مطلوب كما في الحديث: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**»[١٠].

وإنما المذموم الافتخار بالقبائل، واحتقار من لم يُعرف بقبيلة، والاعتزاء الجاهلي لنصر المستجير، وإن كان ظالما مبطلا، فالفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، ونصرة الظالم من أمور الجاهلية المذمومة، ولهذا لما كان بين أبي ذر ﷺ، وبين أحد إخوانه من الصحابة كلامٌ، وكانت أم ذلك الصحابي أعجمية؛ فعيّره بها، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ، فعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالرَّبَذَة، وعليه

---

(٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٧) سورة الأنفال: ٦٣.

(٨) سنن أبي داود كتاب الأدب- أبواب النوم- باب في التفاخر بالأحساب- حديث رقم ٥١١٦. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٥١١٦.

(٩) تاج العروس للزبيدي ٣/٣٠٣- تحقيق مجموعة من المحققين- طبعة دار الهداية.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد ٢/٣٧٤. والحاكم في المسند، وصححه ٤/١٧٨. وقال الألباني: حسن الإسناد، وصحّ مرفوعا. السلسلة الصحيحة ٢٧٧.

حُلة، وعلى غلامه حُلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «**يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»(١١).

قال ابن حجر: «يؤخذ منه المبالغة في ذم السب واللعن؛ لما فيه احتقار مسلم، وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم، إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشرف النسب نسبه؛ إذا لم يكن من أهل التقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾»(١٢).

ومن فقه الإمام البخاري – رحمه الله تعالى - في صحيحه؛ أنه لما ذكر كتاب المناقب، بدأه بقوله: «باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾(١٣). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(١٤)، وما يُنهى عن دعوى الجاهلية».

---

(١١) صحيح البخاري –كتاب الإيمان– باب المعاصي من أمر الجاهلية – حديث رقم٣٠. وعند الإمام مسلم صحيح مسلم –كتاب الأيمان– باب إطعام المملوك مما يأكل، حديث رقم ١٦٦١.

(١٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٤٦٨– تخريج وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، مع تعليقات للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله – ١٣٧٩هـ – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

(١٣) سورة الحجرات: ١٣.

(١٤) سورة النساء: ١.

قال ابن حجر: «يُشير إلى ما تضمنته هذه الآية من أن المناقب عند الله، إنما هي بالتقوى، بأن يعمل بطاعته، ويكف عن معصيته»[١٥].

والمقصود أن الإسلام أبطل دعاوى الجاهلية، وحذر من جميع التحزبات، والشعارات، والولاءات؛ إلا شعار الإسلام الذي شرعه الله لنا؛ فصارت الموالاة والمعاداة، والحب والبغض، على هذا الدين الإسلامي العظيم، وصار المسلمون بحمد الله حزبا واحدا ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١٦].

المبحث الأول: المقصود بالجاهلية ودعواها

المطلب الأول: تعريف الجاهلية وأنواعها

الجاهلية: «نسبة إلى الجهل، وهو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم»[١٧].

والجهلُ لغة: بفتح الجيم، وسكون الهاء: نقيض العلم وضده.

جاء في معجم ابن فارس: «الجيم والهاء واللام أصلان، أحدهما: خلاف العلم، والآخر: الخفةُ وخلاف الطمأنينة، فالأول؛ الجهل: نقيض العلم، ويُقال للمفازة التي لا علم بها: مَجْهَل»[١٨].

وأما الجهل اصطلاحا: فقد تنوعت فيه أقوال أهل العلم، وخلاصتها: أن الجهل هو: عدم العلم عما من شأنه أن يُعلم، أو إدراك المعلوم على خلاف ما هو به»[١٩].

---

(١٥) فتح الباري لابن حجر ٥٢٧/٦

(١٦) سورة المجادلة: ٢٢.

(١٧) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢٥٦/١-تحقيق د.ناصر العقل- مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

(١٨) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٣٦/١-تحقيق عبد السلام محمد هارون- طبعة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م- اتحاد الكتاب العرب.

والجاهلية: مصدر صناعي منسوب إلى جاهل، وهي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهالة والضلالة، وهذه هي الجاهلية العامة.

ولو قيل: الجاهلية هي الحالة التي تكون عليها أمة من الأمم، من الضلال، قبل مجيئها هدى الله تعالى؛ لكان أشمل؛ ليدخل في ذلك أهل الفترات، بما في ذلك حالة الناس قبل بعثة النبي ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالناس قبل بعثة الرسول ﷺ كانوا في جاهلية، منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال، إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية فهو جاهلية، وتلك جاهلية عامة»[٢٠].

وهذه الجاهلية العامة، التي تشمل جميع البلاد والأشخاص، زالت ببعثة النبي ﷺ؛ إذ لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، كما جاء في الحديث.

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[٢١].

وإنما يكون هناك جاهلية خاصة أو مقيدة، تكون في بلد دون بلد، أو في بعض الأشخاص، كما في قول النبي ﷺ لأبي ذر: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[٢٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما بعد ما بعث الله الرسول ﷺ، فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص

---

(١٩) التعريفات للجرجاني: ص١٩٨- ضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر- الطبعة الأولى- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. وشرح الكواكب للسيوطي.

(٢٠) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٥٨- مرجع سابق.

(٢١) صحيح مسلم -كتاب الإمارة- باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة...**»،حديث رقم ١٩٢٠.

(٢٢) سبق تخريجه ص٩ هامش ٣.

دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم، فإنه يكون في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام، فأما في زمان مطلق، فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ، فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة، والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من المسلمين، كما قال ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية**»[٢٣]، وقال لأبي ذر: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[٢٤] ونحو ذلك»[٢٥].

ومما يدل على زوال الجاهلية العامة، ما ورد في الصحيح عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**» قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[٢٦].

---

(٢٣) صحيح مسلم -كتاب الجنائز- باب التشديد في النياحة، حديث رقم ٩٣٤. وسيرد نص الحديث كاملا إن شاء الله تعالى.

(٢٤) سبق تخريجه ص٩ هامش ٣.

(٢٥) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٥٩.

(٢٦) صحيح البخاري -كتاب الفتن- باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة — حديث رقم ٣٦٠٦، وصحيح مسلم - باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر- حديث رقم ١٨٤٧.

ففيه أن الجاهلية العامة، زالت بما جاء به الله من الخير، ببعثة النبي ﷺ، وعليه: فلا يجوز إطلاق الجاهلية العامة على قرن من القرون بعد بعثة النبي ﷺ، وما يقع فيه بعض الكتاب من هذه الإطلاقات، كقول: «جاهلية القرن العشرين» ونحو ذلك، ينبغي أن يُتدارك بالتصحيح.

وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم أربع مرات: في أربعة مواضع، كلها كانت للتحذير من أفعال الجاهلية قبل الإسلام.

الموضع الأول: في سورة آل عمران، يقول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [٢٧]، وهذه الآية تتحدث عن موقف المنافقين في غزوة أحد، لا همّ لهم إلا أنفسهم، يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله؛ شكا في أمر الله، وتكذيبا لرسوله ﷺ، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه، ومُعلٍ عليه أهل الكفر»[٢٨].

الموضع الثاني: في سورة المائدة، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [٢٩].

يقول ابن كثير: «يُنكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه، من الآراء والأهواء

---

(٢٧) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢٨) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري ٧/٣٢٠-تحقيق أحمد محمد شاكر -الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م- مؤسسة الرسالة.

(٢٩) سورة المائدة: ٥٠.

والاصطلاحات التي وضعها الرجال، بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم»[٣٠].

الموضوع الثالث: في سورة الأحزاب، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [٣١]، أي لا تكثرن الخروج متجملات، أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى»[٣٢].

الموضع الرابع: في سورة الفتح، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [٣٣]، وهذه الآية تتحدث عن صلح الحديبية، حيث أنف الكفار من كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، وأنفوا من دخول رسول الله ﷺ والمؤمنين إليهم في تلك السنة؛ لئلا يقول الناس: دخلوا مكة قاهرين لقريش، هذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي»[٣٤].

فهذه المواضع الأربعة: ظن الجاهلية، وحكم الجاهلية، وتبرج الجاهلية، وحمية الجاهلية، كل موضع منها يشير إلى جانب في المجتمع الجاهلي، فظن الجاهلية متعلق بالاعتقاد الذي يعتقدونه، والحكم متعلق بما يتحاكمون إليه، والتبرج متعلق بأمر النساء وأسباب الفاحشة، والحمية متعلق بالأخلاق والسلوك، وقد ذكر الله تعالى

---

(٣٠) تفسير ابن كثير ١١٩/٣- تحقيق محمد حسين شمس الدين- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٣١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٦٦٣-تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق – الطبعة الأولى -١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م- مؤسسة الرسالة.

(٣٣) سورة الفتح: ٢٦.

(٣٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٧٩٤ بتصرف.

لنا ذلك؛ لنستبين سبيل الجاهلين، ونتميز عن أمور الجاهلية، فإنه إنما تنقض عرى الإسلام، عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

ومن المعلوم أن الجاهلية يندرج فيها كل جاهلية عامة أو خاصة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «سنة الجاهلية يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي في شخص دون شخص، كتابية أو وثنية أو غيرهما، من كل مخالفة لما جاء به المرسلون»(٣٥).

المطلب الثاني: دعوى الجاهلية ومظاهرها

دعوى الجاهلية: من الأمور المذمومة التي جاء الإسلام بالتحذير منها، وهي: كل دعوى إلى التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ والقبائل، بأن يوالي عليها، ويعادي عليها، بدافع الهوى والعصبية والظلم.

وقال ابن حجر رحمه الله: «دعوى الجاهلية: هي الاستغاثة عند الحرب، كأن يقولون: يا آل فلان؛ فيجتمعون، فينصرون القائل، ولو كان ظالما، فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك»(٣٦).

وقال النووي في بيان دعوى الجاهلية: «ما كانت عليه الجاهلية، من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك، وفصل القضايا بالأحكام الشرعية»(٣٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم

---

(٣٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٥٩/١.

(٣٦) فتح الباري لابن حجر ٥٤٦/٦-مرجع سابق.

(٣٧) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ١٣٧/١٦-الطبعة الثانية-١٣٩٢هـ-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.

مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم**»[٣٨]، وغضب غضبا شديدا»[٣٩].

وقال ابن القيم: «الدعاء بدعوى الجاهلية: كالدعاء إلى القبائل، والعصبية للإنسان، ومثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية، وكونه منتسبا إليه؛ فيدعو إلى ذلك ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية»[٤٠].

والمقصود: أن كل قول أو سلوك، يثير التعصب والهوى، ونصرة طرف على طرف آخر، بموجب الحمية ونحوها، ويخرج عن دعوى الإسلام، فهو من أمر الجاهلية، التي جاء الإسلام بإبطالها.

---

(٣٨) ونص الحديث في البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ، فقال: «**ما بال دعوى أهل الجاهلية؟**» ثم قال: «**ما شأنهم**» فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها خبيثة**»، وقال عبدالله بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر رضي الله عنه: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله، فقال النبي ﷺ: «**لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه**» صحيح البخاري -كتاب المناقب- باب ما ينهى من دعوة الجاهلية. وينظر: صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب- باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، حديث رقم ٢٥٨٤.

(٣٩) السياسة الشرعية لابن تيمية ص٧٨-الطبعة الأولى — ١٤١٨هـ- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد — السعودية.

(٤٠) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٤٧١/٢- تحقيق شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط- ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م- مؤسسة الرسالة بيروت لبنان- مكتبة المنار الإسلامية- الكويت.

مظاهر دعوى الجاهلية

من مظاهر دعوى الجاهلية ما يلي:

١- الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب

هاتان الصفتان من أسوأ أمور الجاهلية، التي أخبر النبي ﷺ أنها ستبقى في هذه الأمة، كما في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**» وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**»(٤١).

وقد جمع النبي ﷺ بين الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، وذلك لأن الفخر بالأحساب ذريعة إلى الطعن في أنساب الآخرين، فإذا أعجب الإنسان بنسبه، وافتخر به في المجامع، فإن هذا يؤدي به في الغالب إلى احتقار غيره، والطعن في نسبه، تصريحا أو تلميحا، وهذا يؤدي به في النهاية إلى أمور الجاهلية.

واتصال النسب بالأخيار، لا يجوز أن يكون وسيلة للتفاخر؛ لأنه لا قيمة للنسب، إذا تجرد عن التقوى، وفي تاريخ الإسلام، من الأئمة الأعلام، من ذوي الأنساب والمكانة، أصحاب دواوين العلم والعمل، والأئمة الذين قادوا الأمة، ونفع الله بهم البلاد والعباد، والحاضر والباد، لم يفتخر منهم أحد بنسبه وحسبه، فضلا أن يطعن في نسب غيره.

قال المباركفوري معلقا على الحديث: «ومعنى الفخر في الأحساب: هو التكبر والتعظيم بِعدِّ مناقبه، ومآثر آبائه، وهذا يستلزم تفضيل الرجل نفسه على غيره؛ ليحقره، وهذا لا يجوز.

---

(٤١) صحيح مسلم -كتاب الجنائز- باب التشديد في النياحة - حديث رقم ٩٣٤.

وفي الحديث: «**كرم الرجل: دينُه، وحسبه: خُلُقه**»(٤٢) وفي ذلك نفي ما كان عليه أهل الجاهلية.

وفيه تنبيه على أن الحسب الذي يُحمد به الإنسان: ما تحلى به من خصال الخير، لا ما يعدّه من مفاخره، ومآثر آبائه.

والطعن في الأنساب: أي: إدخال العيب في أنساب الناس، وذلك يستلزم تحقير الرجل آباء غيره، وتفضيل آبائه على آباء غيره، وهو ممنوع»(٤٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الطعن في النسب: معناه: التعيير بالنسب، أو أن ينفي نسبه، فمثلا يقول في التعيير: أنت من القبيلة الفلانية، التي لا تدفع العدو، ولا تحمي الفقير، ويذكر فيها معايب، أو مثلا يقول: أنت تدعي أنك من آل فلان ولست منهم»(٤٤).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «الفخر بالأحساب: أن يفتخر الإنسان بأمجاد آبائه وأجداده، وهذا من دين الجاهلية؛ لأنهم كانوا يجتمعون في منى، وبدل أن يذكروا الله ﷻ، يذكرون مفاخر آبائهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(٤٥).

فالواجب ذكر الله تعالى، وليس ذكر الآباء والأجداد.

---

(٤٢) مسند أحمد بن حنبل – من مسند بني هاشم– مسند أبي هريرة ﷺ، حديث رقم ٨٧٧٤. سنن سعيد بن منصور –كتاب الجهاد– باب ما جاء في الجبن والشجاعة– حديث رقم ٢٥٣٤.

(٤٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/٤٦٥– الطبعة الثالثة– ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م– إدار البحوث العلمية والدعوة والإفتاء– الجامعة السلفية– بنارس– الهند.

(٤٤) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين ٦/٢٦٤– طبعة ١٤٢٦هـ– دار الوطن للنشر — الرياض– السعودية.

(٤٥) سورة البقرة: ٢٠٠.

والطعن في الأنساب: كأن يقول: فلانٌ ما له أصل، أو فلانٌ من قبيلة ليست أصيلة، وهذا فيه تنقص للآخرين، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[٤٦][٤٧].

ومن المعلوم أن الإنسان ليس له حرية اختيار أصله ونسبه، فالطعن فيه من أجل ذلك عدوان وظلم وجهل.

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائل الجاهلية: أنهم يعيرون الرجل بفعل غيره، فقال: «المسألة الخامسة والتسعون: تعيير الرجل بما في غيره، لا سيما أبوه وأمه، فخالفهم ﷺ وقال: «**أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**»[٤٨][٤٩].

قال الألوسي رحمه الله: «وقد أطنب شراح الحديث في شرحه، وليس هذا موضع استقصائه، والمقصود منه: أن تعيير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الإيمان والمعرفة، فإن أبا ذر ﷺ، قبل بلوغه المرتبة القصوى من المعرفة، تسابّ هو وبلال الحبشي المؤذن، فقال له: يا ابن السوداء، فلمّا شكا بلال إلى رسول الله ﷺ؛ قال له: «**شتمت بلالا، وعيرته بسواد أمه**»، قال نعم، قال: «**حسبتُ أنه بقي فيك**

---

(٤٦) سورة الحجرات: ١٣.

(٤٧) شرح مسائل الجاهلية للشيخ صالح الفوزان صـ٢٤٢-الطبعة الأولى-١٤٢١هـ-٢٠٠٥م- دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(٤٨) سبق تخريجه ص٩ هامش ٣.

(٤٩) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب- لأبي المعالي محمود شكري الألوسي (مطبوع مع رسالة قطف الثمر لصديق حسن خان) ٢/٢٨٩-تقديم وتعليق محب الدين الخطيب- الطبعة الأولى- ١٤٢١هـ- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

شيء من كبر الجاهلية»، فألقى أبو ذر خده على التراب، ثم قال: لا أرفع خدي حتى يطأ بلال خدي بقدمه»[٥٠]».

«والناس اليوم قد كثرت فيهم خصال الجاهلية، فتراهم يعيرون أهل بلد كلهم بما صدر عن واحد منهم»[٥١].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في «تيسير العزيز الحميد»: «قوله: «**الفخر بالأحساب**»، أي: التشرف بالآباء، والتعاظم بعدّ مناقبهم ومآثرهم، وفضائلهم، وذلك جهل عظيم؛ إذ لا شرف إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٥٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[٥٣].

وفي السنن عن أبي هريرة ﷺ: «**إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم من تراب؛ ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**»[٥٤].

---

(٥٠) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨٨/١- تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم- الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م- مكتبة الرشد- الرياض- السعودية.

(٥١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبدالوهاب- محمود شكري الألوسي ٢٩٠/٢.

(٥٢) سورة سبأ: ٣٧.

(٥٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٥٤) سنن أبي داود كتاب الأدب- أبواب النوم- باب في التفاخر بالأحساب- حديث رقم ٥١١٦. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٥١١٦.

والأحساب: جمع حسب، وهو ما يُعدّه الإنسان له ولآبائه من شجاعة وفصاحة ونحو ذلك.

قوله: «**والطعن في الأنساب**»، أي: الوقوع فيها بالذم والعيب، أو بقدح في نسب أحد من الناس، فيقول: ليس هو من ذرية فلان، أو يُعيره بما في آبائه من المطاعن، ولهذا لما عير أبو ذر ﷺ رجلا بأمه، قال النبي ﷺ لأبي ذر ﷺ: «**أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**»(٥٥)، فدل ذلك أن التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية»(٥٦).

من أجل ذلك نهى الشارع الحكيم عن البغي والفخر، وأمر بالعدل والتواضع، يقول النبي ﷺ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»(٥٧).

ولا يشكل على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ من قوله: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»(٥٨)، وقوله: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»(٥٩)، وقوله في نسب قريش: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(٦٠).

---

(٥٥) سبق تخريجه ص٩ هامش ٣.

(٥٦) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٨٢/٢- تحقيق زهير الشاويش- الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م- المكتب الإسلامي- بيروت-دمشق.

(٥٧) صحيح مسلم -كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهله- باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم ٢٨٦٥.

(٥٨) صحيح البخاري -كتاب الجهاد والسير -باب من قاد دابة غيره في الحرب- حديث رقم ٢٨٦٤. وصحيح مسلم -كتاب الجهاد والسير- باب في غزوة حنين، حديث رقم١٧٧٦.

(٥٩) صحيح مسلم -كتاب الفضائل- باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث رقم ٢٢٧٨.

(٦٠) صحيح مسلم -كتاب الفضائل- باب فضل نسب النبي ﷺ، حديث رقم ٢٢٧٦.

وذلك أن المذموم هو ما كان على سبيل التفاخر، والتنقص للآخرين، لا على سبيل البيان والتعريف واقتضاء الحال.

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن التفضيل إذا كان على وجه الغض من المفضول في النقص له، نُهي عن ذلك، كما نهى عن تفضيله على موسى عليه السلام، وكما قال ﷺ لمن قال: يا خير البرية، قال: «**ذلك إبراهيم Σ**»[٦١]، وصح قوله: «**أنا سيد ولد آدم**»[٦٢][٦٣].

وقال ابن القيم بعد أن ذكر قول الصحابة للرسول ﷺ: «أنت سيدنا»، ونهيُه عن ذلك بقوله: «**السيدُ الله**»، قال رحمه الله: «ولا ينافي هذا قوله: «**أنا سيد ولد آدم**»، فإن هذا إخبارا منه عما أعطاه الله من سيادة النوع الإنساني، وفضله وشرفه عليهم»[٦٤].

وقال النووي: «وقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**»، لم يقله فخرا، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[٦٥]، وإنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾[٦٦].

---

(٦١) صحيح مسلم –كتاب الفضائل– باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، حديث رقم ٢٣٦٩.

(٦٢) صحيح مسلم –كتاب الفضائل– باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث رقم ٢٢٧٨. وزيادة «**ولا فخر**» في سنن ابن ماجه –كتاب الزهد– باب ذكر الشفاعة، حديث رقم ٤٣٠٨.

(٦٣) منهاج السنة لابن تيمية ٢٥٦/٧، تحقيق د.محمد رشاد سالم–الطبعة الأولى–١٤٠٦هـ، مؤسسة قرطبة.

(٦٤) تحفة المودود صـ ١٢٦– تحقيق عبد القادر الأرناؤوط– الطبعة الأولى– ١٣٩١هـ–١٩٧١م– مكتبة دار البيان– دمشق — سوريا.

(٦٥) سنن ابن ماجه –كتاب الزهد– باب ذكر الشفاعة، حديث رقم ٤٣٠٨. وصححه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ١٤٦٨.

(٦٦) سورة الضحى: ١١.

والثاني: سيأتي في موضعه»[٦٧].

وأما قوله ﷺ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**» فهذا في مقام الحرب في غزوة حنين، وهو مقام يقتضي مثل ذلك؛ لإظهار القوة أمام العدو.

قال النووي: «ومعنى قوله ﷺ: «**أنا النبي لا كذب**»، أي: أنا النبي حقا، فلا أفرّ ولا أزول، وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب: أنا فلان، وأنا ابن فلان، ومثله قول سلمة: أنا ابن الأكوع، وقول علي ﷺ: أنا الذي سمتني أمي حيدرة، وأشباه ذلك، وقد صرّح بجوازه علماء السلف، وفيه حديث صحيح، قالوا: وإنما يُكره قول ذلك على وجه الافتخار، كفعل الجاهلية»[٦٨].

وهكذا ما يروى من قول سفّانة بنت حاتم الطائي رضي الله عنها: «إن أبي كان يفكّ الأسير، ويحمي الضعيف، ويُكرم الضعيف، ويشبع الجائع، ويُفرج عن المكروب...»[٦٩]، لم تُرد بذلك الافتخار، وإنما أرادت البيان والتعريف، لما دعت الحاجة إلى ذلك.

قال ابن عبد البر رحمه الله: مبينا جواز إخبار الإنسان عما يتميز به من خير، إذا دعت الحاجة أو الضرورة إلى ذلك، قال ﷺ: «ومثل هذا كثير في السنن، وعن علماء السلف، لا يُنكر ذلك إلا من لا علم له بآثار من مضى»[٧٠].

---

(٦٧) شرح النووي على مسلم ٣٧/١٥- الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ- دار إحياء التراث العربي- بيروت-لبنان.

(٦٨) شرح النووي على مسلم ١٢٠/١٢- مرجع سابق.

(٦٩) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٥/٣ بتصرف-. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي- الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ-١٩٩٧م- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- السعودية.

(٧٠) التمهيد لابن عبد البر ٣٩/٢٠-تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري- ١٣٨٧هـ- وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب.

وأما ما جاء في فضل قريش، فذلك لقربهم من رسول الله ﷺ، وكونهم أول من بُعث فيهم، ولنصرتهم للإسلام، وتمسكهم به، فمن كان منهم قائما بالحق، عاملا به، كان له فضل ومنزلة، ومن كان منهم معرضا عن الإسلام، محاربا لله؛ فإنه لا قيمة له، فأبو لهب من قريش، بل هو عم النبي ﷺ، وقد أنزل الله فيه سورة تذمه إلى يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[٧١].

٢- التنادي والتعصب للقبائل أو الأحزاب أو المشايخ، ونحو ذلك

التعصب للقبائل والأحزاب والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض، بمجرد الهوى والعصبية، كل هذا من دعوى الجاهلية.

والتنادي باسم القبيلة أو الحزب، ونحو ذلك؛ للمغالبة والمخاصمة، بدافع التعصب، أمر منكر، وهو من سنة الجاهلية، وقد تقدم حديث جابر رضي الله عنه، وفيه قول الأنصاري: يا للأنصار، وقول المهاجري: يا للمهاجرين، وقول النبي ﷺ لهم: «**ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ دعوها فإنها خبيثة...**»[٧٢].

فهذان الاسمان الشرعيان: المهاجرون والأنصار، لما دعا كل منهما طائفته منتصرا بها، سمّى النبي ﷺ ذلك: «**دعوى الجاهلية**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذان الاسمان «المهاجرون والأنصار» اسمان شرعيان، جاء بهما الكتاب والسنة، وسماهم الله بهما، كما سمانا

---

(٧١) سورة المسد ١-٥.

(٧٢) صحيح البخاري -كتاب المناقب- باب ما ينهى من دعوة الجاهلية. وينظر: صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب- باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، حديث رقم ٢٥٨٤.

المسلمين من قبل وفي هذا، وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن، محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذين يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى، ثم مع هذا، لما دعا كل واحد منهما طائفته منتصرا بها، أنكر النبي ﷺ ذلك، وسماها دعوى الجاهلية»[٧٣].

فإذا كان الأمر كذلك، فكيف بمن ينتمي ويتعصب إلى أحزاب وفرق، ما أنزل الله بها من سلطان، فيفرق الأمة، ويمتحنها بما لم يأمر الله به ورسوله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك التفريق بين الأمة، وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله، مثل أن يُقال: أنت شُكيلي[٧٤] أو قرفندي[٧٥]»؟، فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة، لا شُكيلي ولا قرقندي، والواجب على المسلم إذا سُئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شُكيلي ولا قرقندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله»[٧٦].

---

(٧٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٤١/١- مرجع سابق.

(٧٤) إحدى الفرق في زمان شيخ الإسلام.ولعلها "الشاكية" وهو لقب على فرقتين دينتيتين، الأولى من غلاة المشبهة، والثانية من فرق المرجئة، قال أتباعها: إن الطاعات ليست من الإيمان". يُنظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية مصطفى عبد الكريم ص٢٦٧-الطبعة الأولى-١٤١٦هـ-١٩٩٦م-مؤسسة الرسالة -بيروت-لبنان.

(٧٥) في سؤال توجه لفضيلة الشيخ عبد العزيز الراجحي عن معنى "شكيلي وقرفندي أو قركندي، قال: هذه أسماء كأنها ألقاب أو فرق كانت موجودة عندهم في ذلك الوقت. شرح الوصية الكبرى- دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. ولم يقف الباحث على معنى قرفندي أو قركندي فيما اطلع عليه من موسوعات ومعاجم، إلا ورود الاسم في كلام الإمام ابن تيمية ومن نقل عنه.

(٧٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤١٥/٣- تحقيق أنور الباز- عامر الجزار- الطبعة الثالثة- ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م- دار الوفاء- المنصورة - مصر.

كما لا يجوز لأحد أن يوالي على هذه الأسماء أو الفرق، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأتبعهم لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولذلك فإن أهل الإسلام لا ينتسبون لأي حزب أو فرقة، وإنما يُنسبون إلى الإسلام فقط، فالله تعالى رضي لنا الإسلام دينا، وسمانا المسلمين، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (٧٧). وقال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ (٧٨).

لكن لما ظهرت البدع والأهواء، ظهرت للمسلمين الذين على منهاج النبوة، ألقاب شرعية، دلت عليها النصوص، احتاجوا إليها في رد أهل البدع، والتميز عنهم، فليست هي للتعصب، ولا هي من دعاوى الجاهلية، ولو كانت الأمة في قالب الإسلام الصحيح، خالية من البدع والأهواء، كما كان الصدر الأول، ومقدمة السلف الصالح؛ لغابت هذه الألقاب المميزة؛ لعدم وجود المناهض لها»(٧٩).

قال الشيخ بكر أبو زيد: «كان المسلمون -وهم الصحابة رضوان الله عليهم- قبل بزوغ بذرة التفرق والانشقاق، ليس لها اسم يتميزون به؛ لأنهم يمثلون الإسلام، والامتداد الطبعي لهم، لكن لما حصلت تلك الفرق الضالة، التي يشملها لفظ «أهل الأهواء» لغلبة اتباع الهوى عليهم، ولفظ «أهل البدع» لاتباعهم ما هو خارج عن الدين، أجنبي عنه، و«أهل الشبهات»؛ لأنهم يلبسون الحق بالباطل، فيشبهون به على العامة لبناء خروج على السنة على مرض الشبهة الفاسدة... لما حصلت تلك الفرق، المنتسبة إلى الإسلام، منشقة عن العمود الفقري للمسلمين،

---

(٧٧) سورة المائدة: ٣.

(٧٨) سورة الحج: ٧٨.

(٧٩) يُنظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية – للشيخ بكر عبد الله أبو زيد صـ٣٣- الطبعة الأولى- ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م- دار الحرمين- القاهرة- مصر.

ظهرت ألقابهم الشرعية المميزة لجماعة المسلمين ؛ لنفي الفرق والأهواء عنهم، سواء ما كان من الأسماء ثابتا لهم بأصل الشرع : الجماعة، جماعة المسلمين، الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة.

أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع، ولهذا حصل الربط لهم بالصدر الأول، فقيل لهم :

السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، أهل السنة والجماعة، وهذه الألقاب الشريفة تُخالف أي لقب كان لأي فرقة كانت»[٨٠].

ثم ذكر رحمه الله عدة وجوه للمخالفة، منها : أنها لم تنفصل ولا لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية، منذ تكونها على منهاج النبوة، ومنها : أنها تحوي كل الإسلام الكتاب والسنة بلا زيادة ولا نقصان، ومنها : أنها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة، ومنها ما لم يبرز إلا في مواجهة أهل الأهواء، ومنها : أن عقد الولاء والبراء لديهم على الإسلام لا غير، ومنها : أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ.

ذلك أن التعصب لشخصٍ غير النبي ﷺ يُدعَى إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها ؛ سنةٌ جاهلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته، ويُوالي ويُعادي عليها، غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلاما يُوالي عليه ويُعادي ؛ غير كلام الله ورسوله، وما اجتمعت عليه الأمة.

بل هذا من فعل أهل البدع، الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يُفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويُعادون»[٨١].

---

(٨٠) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب للشيخ بكر أبو زيد صـ٣٢- مرجع سابق

وقال أيضا: «من نصّب شخصا كائنا من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل، فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا»[٨٢].

قال الشيخ بكر أبو زيد: «وهذه حال كثير من الجماعات والأحزاب الإسلامية اليوم؛ أنهم ينصبون أشخاصا قادة لهم، فيوالون أولياءهم، ويُعادون أعداءهم، ويُطيعونهم في كل ما يُفتون لهم، دون الرجوع إلى الكتاب أو السنة، ودون أن يسألوهم عن أدلتهم فيما يقولون أو يُفتون.

ومثل هذه المناهج، لا تصلح أن تكون أساسا للتغيير، ووحدة صف المسلمين، بل ولم يحدث أن توحدت كلمة المسلمين على مذهب من المذاهب، أو على حزب من الأحزاب، رغم المحاولات التي بذلتهم بعض الدول من أجل فرض هذا المذهب، أو ذلك الاتجاه القبلي أو الحزبي.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فلماذا لا نختصر الطريق، ونعود إلى التمسك بالمنهج الأول، الذي صلح به أمر هذه الأمة من قبل، ولا صلاح لأمتنا إلا به»[٨٣].

والمقصود: أن التحزب للأشخاص هو من دعوى الجاهلية، ومن ضروب العصبية المقيتة، التي تكاثرت النصوص الشرعية في نبذها وإبطالها، ومن جملة ذلك: ما يقع كثيرا في رؤساء بعض البادية، أو الحاضرة، من نُصرة من استجار بهم وناداهم، وانتخى بهم، وإن كان ظالما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله -: «وهذا يقع كثيرا في الرؤساء من أهل البادية والحاضرة، إذا استجار بهم مستجير، أو كان بينهما قرابة، أو صداقة،

---

(٨١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦٤/٢٠- مرجع سابق.

(٨٢) مجموع الفتاوى٨/٢٠- مرجع سابق.

(٨٣) الانتماء إلى الفرق والأحزاب للشيخ بكر أبو زيد ص٩٣- مرجع سابق.

فإنهم يرون الحمية الجاهلية، والعزة بالإثم، والسُمعةُ عند الأوباش[٨٤] أنهم ينصرونه، وإن كان ظالما مبطلا، على المحق المظلوم، لا سيما إن كان المظلوم رئيسا يناديهم، ويناويهم، فيرون في تسليم المستجير بهم إلى من يُناويهم ذُلا وعجزا، وهذا على الإطلاق جاهلية محضة، وهي من أكبر فساد الدين والدنيا، وقد ذُكر أنه إنما كان سبب كثير من حروب الأعراب، كحرب البسوس، التي كانت بين بني بكر وتغلب، إلى نحو هذا، وكذلك سبب دخول الترك والمغول دار الإسلام، واستيلاؤهم على ملوك ما وراء النهر وخراسان: كان سببه نحو هذا... ومن أذل نفسه لله، فقد أعزها، ومن بذل الحق من نفسه؛ فقد أكرم نفسه، فإن أكرم الخلق عن الله أتقاهم، ومن اعتز بالظلم: من منع الحق، وفعل الإثم؛ فقد أذل نفسه وأهانها، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[٨٥].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٨٦].

وقال تعالى في صفة هذا الضرب: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[٨٧].

---

(٨٤) البَوْش بالفتح: الجماعة من الناس المختلطين، والأوشاب جمع مقلوب منه. والبَوْشِيُّ: الفقير، كثير العيال. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص٧٣- تحقيق محمود خاطر- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ-١٩٩٥- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- لبنان.

(٨٥) سورة فاطر: ١٠.

(٨٦) سورة المنافقون: ٨.

(٨٧) سورة البقرة ٢٠٤: ٢٠٦.

وإنما الواجب على من استجار به مستجير، إن كان مظلوما، ينصره، ولا يثبت أنه مظلوم بمجرد دعواه، فطالما اشتكى الرجل وهو ظالم، بل يكشف خبره من خصمه وغيره، فإن كان ظالما؛ رده عن الظلم بالرفق إن أمكن، إما من صُلح أو حكم بالقسط، وإلا فبالقوة، وإن كان كل منهم ظالما مظلوما، كأهل الأهواء من قيس ويمن ونحوهم، وأكثر المتداعين من أهل الأمصار والبوادي، أو كانا جميعا غير ظالمين، لشبهة تأويل، أو غلط وقع فيما بينهما: سعى بينهما بالإصلاح، أو الحكم، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ ﴾[٨٨].

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤ ﴾[٨٩].

وعن عباد بن كثير الشامي عن امرأة منهم يقال لها فسيلة، قالت: سمعت أبي يقول، سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أمِن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: «**لا، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم**»[٩٠]. وقال: «**خيركم الدافع عن قومه ما لم يأثم**»[٩١]... وقال: «**من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا**

---

(٨٨) سورة الحجرات: ٩.

(٨٩) سورة النساء: ١١٤.

(٩٠) سنن ابن ماجه –كتاب الفتن– باب العصبية، حديث رقم ٣٩٤٩. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، حديث رقم ٤٠٢٠ ، وإيراد شيخ الإسلام له في سياق الاستدلال يدل على احتجاجه به ،والحديث رواه أيضا الإمام أحمد٤/١٠٧ وفي سنده عباد بن كثير ، لكن وثقه ابن معين وغيره . (ينظر مجمع الزوائد) .

(٩١) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم – ذكر خالد بن عبد الله بن حرملة المدلجي، حديث رقم ١٠٣٣.

تكنوا»[٩٢]، وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن من نسب أو بلد، أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية»[٩٣]. فالحق يجب قبوله من أي شخص كان، والباطل يجب رده من أي شخص كان، وأما من نصر الخطأ لعصبية، أو قبلية، أو لهوى في نفسه، ونحو ذلك، فهو من حزب الشيطان، ومن الدعاة إلى أمر الجاهلية.

قال ابن بطة رحمه الله: «فاعلم يا أخي أن من كره الصواب من غيره، ونصر الخطأ من نفسه؛ لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علّمه، ويُنسيه ما ذكّره، بل يُخاف عليه أن يسلبه الله إيمانه؛ لأن الحق من رسول الله إليك، افتُرض عليك، فمن سمع الحق فأنكره بعد علمه له؛ فهو من المتكبرين على الله، ومن نصر الخطأ، فهو من حزب الشيطان»[٩٤].

٣- الرايات العِمّية

الراية العمِّية: «هي الراية غير المعروفة، وهي الأمر المُلبس الذي لا يُدرى ما وجهه، كالعصبية التي لا يُستبان ما وجهها، وإنما هي على الأهواء، لا على مقتضى الشرع»[٩٥].

وقد فسر الرسول ﷺ الراية العِمِّية بأنها: هي التي يغضب لعصبة، أو يدعو لعصبة، أو ينتصر لعصبة، كما في قوله ﷺ: «**من قاتل تحت راية عِمّية، يغضب لعصبة،**

---

(٩٢) المعجم الكبير للطبراني -ومما أسند أبي بن كعب ﷺ، حديث رقم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٥٦٧. وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه لأحاديث مسند الإمام أحمد، ولفظه: «**إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَزِي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا**». ١٥٧/٣٥، حديث رقم٢١٢٣٣.

(٩٣) مجموع الفتاوى ٣٢٨/٢٨ – مرجع سابق.

(٩٤) الإبانة الكبرى لابن بطة ٥٤٥/٢-تحقيق رضا معطي وآخرين - دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض- السعودية.

(٩٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج ابن الجوزي ٥١/٢- تحقيق علي حسين البواب- دط- دت- دار الوطن- الرياض- السعودية.

أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عُصبة، فقُتل فقِتلة جاهلية»[٩٦]، أي: كقِتلة أهل الجاهلية، الذين هم فوضى لا إمام لهم.

وعليه: فإن الراية الإسلامية الوحيدة، التي يجب أن يُقاتل من أجلها؛ هي الجهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العُليا.

وفي الحديث عن أبي موسى ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[٩٧].

فانظر كيف ضرب الرسول ﷺ صفحًا عما سُئل عنه من الرايات العُمية، والحميات الجاهلية، وذكر الراية الوحيدة، التي هي جهاد شرعي صحيح.

والجهاد الشرعي الصحيح: هو الذي تتم فيه الشروط والضوابط المدونة في كتب أهل الفقه.

ومنها: أن الجهاد موكول لولي الأمر، ولا يصح الافتيات عليه، أو الذهاب إلى أماكن القتال دون إذنه، كما لا يصح الإخلال بالمواثيق والعقود التي عقدها مع الكفار، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ

---

(٩٦) صحيح مسلم -كتاب الإمارة- باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، حديث رقم ١٨٤٨.

(٩٧) صحيح مسلم -كتاب الإمارة- باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل، حديث رقم ١٩٠٤.

﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [٩٨]، وقال ﷺ: «**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويُتقى به**»[٩٩].

وقال ابن قدامة في المغنى: «وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك»[١٠٠].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر... فالغزو بلا إذنه افتيات عليه، وتعدٍ على حدوده، ولأنه لو جاز للناس أن يغزو بدون إذن الإمام؛ لأصبحت المسألة فوضى...»[١٠١].

ومما ينبغي ملاحظته، ونحن نتحدث عن الرايات العمية الجاهلية، الإشارة أن بعضها ترفع شعارات إسلامية، وألفاظا شرعية، فيتوارد الناس على القتال تحتها، والانضمام إليها؛ اكتفاء بالأسماء والشعارات.

والمؤمن الفطِن لا تغرّه الشعارات، وإن كُسيت عبارات أرق من الحرير.

ومن الأمثلة على ذلك: ما حصل في زمن النبي ﷺ حين اختصم مهاجري وأنصاري، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، ومع أن هذين اللفظين، والشعارين المرفوعين: المهاجرين والأنصار، ألفاظٌ شرعية وردت في الكتاب والسنة؛ إلا أنهما لما استخدما في العصبية سماها رسول الله ﷺ دعوى الجاهلية، فقال ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها خبيثة**»، فكيف بالشعارات المخالفة للواقع.

---

(٩٨) سورة الأنفال: ٧٢.

(٩٩) صحيح البخاري -كتاب الجهاد والسير- باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، حديث رقم ٢٩٥٧. صحيح مسلم -كتاب الصلاة- باب النهي عن مبادرة الإمام بالتكبير وغيره، حديث رقم٤١٦.

(١٠٠) المغني لابن قدامه ٢٠٢/٩-دط-١٣٨٨هـ-١٩٦٨م- مكتبة القاهرة-مصر.

(١٠١) الشرح الممتع لابن عثيمين ٢٢/٨-الطبعة الأولى- دار ابن الجوزي- السعودية.

من الرايات العمّية: الرايات القومية:

فالقومية يدخل تحت لوائها الفاسق والفاجر والكافر والملحد، والعلماني والرافضي، وهذه راية لم تُبن على أساس العقيدة الصحيحة، وكان الواجب التمييز بين الحق والباطل، والخبيث من الطيب، قال الله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[١٠٢].

قال الشيخ ابن عثيمين متحدثا عن الرايات القومية: «الذين قاتلوا حمية ممن ينتسبون إلى الإسلام؛ لم ينجحوا، ولن ينجحوا، فماذا حصل من قتال العرب لليهود؟ حصل الفشلُ، وحصلت الهزيمة؛ لأنهم لا يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، بل يقاتلون للقومية العربية، هذه القومية حصل بسببها من المفاسد، بأن دخل فيهم النصارى واليهود العرب، ما دام أن مناط الحكم هو العروبة؛ كما دخل فيهم الشيوعيون، وغيرهم، إذا كانوا عربا، ولا يُعقل أن يهوديا أو نصرانيا، أو شيوعيا، يقاتل لحماية الإسلام.

وخرج الملايين من المسلمين من غير العرب، وصار في نفوسهم شيء، وقالوا: لماذا تخرجوننا من القتال؟ ولهذا صارت الهزيمة والفشل...»[١٠٣].

ومما ينبغي ملاحظته عند الدفاع عن الوطن أن يُشعر الناس أننا ندافع عن الوطن، لا لكونه وطنا فقط، بل لكونه وطن الإسلام.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «كوننا نربي الأجيال على الدفاع عن الوطن وما أشبه ذلك، دون أن نشعرهم بأننا نحمي وطننا، وندافع عن وطننا من أجل ديننا؛ لأن وطننا والحمد لله –وأعني بذلك المملكة العربية السعودية - هو خير أوطان المسلمين

---

(١٠٢) سورة الأنفال: ٣٧.

(١٠٣) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين ص ٣٠٤، ٣٠٥- طبعة دار الثريا.

إقامة لدين الله، فإذا كان الإنسان يريد بالوطنية، أي: أن وطننا هو أحسن الأوطان في الوقت الحاضر، بالنسبة لإقامة الدين، فأنا أدافع عن وطني؛ لأنه الوطن الإسلامي الذي يطبق من أحكام الشريعة ما لم يطبقه غيره، وإن كان عندنا خلل كثير، فهذا لا بأس، أما مجرد الوطنية؛ فهذه دعوة فاشلة»[(١٠٤)].

وللشيخ ابن باز رحمه الله كتاب بعنوان: «نقد القومية العربية»، قال فيه عن دعاة القومية: «الواجب أن يُكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام، والدعوة إلى تحكيمه؛ بدلا من الدعوة إلى قومية أو وطنية»[(١٠٥)].

فهذه الرايات العمية المتعددة، سواء كانت قومية أو حزبية ونحوهما، هي رايات شر وبلاء وفتنة، وأصحابها لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا، وإنما مزقوا المسلمين كل ممزق، وسلطوا عليهم الأعداء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الثاني: أسباب دعوى الجاهلية

أسباب دعوى الجاهلية كثيرة، ومن أهمها ما يلي:

١- الظلمُ والجهل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[(١٠٦)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[(١٠٧)].

---

(١٠٤) لقاء الباب المفتوح للشيخ ابن عثيمين ص٤٢. لقاءات كان الشيخ عليه رحمة الله يعقدها بمنزله كل خميس، بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ.

(١٠٥) نقد القومية العربية للشيخ ابن باز ص ٢٠- الطبعة السادسة- ١٤١١هـ-الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية.

(١٠٦) سورة إبراهيم: ٣٤.

فالظلم والجهل هما أصل كل شر.

قال ابن القيم رحمه الله: «الإنسان خلق في الأصل ظلوم جهول، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يُعلمه الله ما ينفعه، ويُلهمه رشده، فمن أراد به خيرا؛ علمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل ونفعه بما علمه؛ فخرج به عن الظلم، ومن لم يُرد به خيرا؛ أبقاه على أصل الخِلقة، فأصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم، وقد جعل الله سبحانه للعدل المأمور به حدا، فمن تجاوزه كان ظالما مُعتديا، وله من الذم والعقوبة بحسب ظلمه وعدوانه»[(١٠٨)].

فالجاهل ينسى الغاية التي خُلق من أجلها، وينشغل بما يضره ولا ينفعه من الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، وما علم أنه كغيره خُلق من نطفة إذا تمنى، فعلام الكبر والتيه؟ ألا يعلمُ أن من بطّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه[(١٠٩)].

كما أن الظالم الذي لا يخشى الله ولا يتقيه؛ ربما أخذته العزة بالإثم، وأخذه الفخر والخُيلاء، فرفع من شأن نفسه وعصبته، وقلل من شأن غيره، وقد يكونوا خيرا منه؛ فيقع حينئذ في خطيئة الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب اللذين هما من أسوأ أخلاق الجاهلية.

والجاهلية كما هو معلوم منسوبة إلى الجهل، فكل من جهلَ وظلم، فقد اجتذبته حمية الجاهلية، وفي حديث عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك أن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، والله ما**

---

(١٠٧) سورة الأحزاب: ٧٢.

(١٠٨) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ١٣٦/٢، ١٣٧- تحقيق محمد حامد الفقي- الطبعة الثانية – ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م- دار المعرفة - بيروت –لبنان.

(١٠٩) اقتباس من الحديث النبوي الشريف- صحيح مسلم -كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر- حديث رقم ٢٦٩٩.

علمت على أهلي إلا خيرا»، فقام سعد بن معاذ ﷺ فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس، ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام رجل من الخزرج، وهو سعد بن عبادة، سيد الخزرج، فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، قالت عائشة عن سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوسُ والخزرج، حتى همّوا أن يقتتلوا...»[(١١٠)].

قال ابن حجر في فتح الباري: «احتملته الحمية، أي: حملته على الجهل...»[(١١١)].

والمقصود أن الجهل والظلم يؤدي إلى حمية الجاهلية، وقد تقدم قول النبي ﷺ لأبي ذر عندما جهل وعير بلالا بأمه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[(١١٢)].

٢- طلب السمعة وما تهوى الأنفس

يهوى بعض الناس طيران سمعته في الآفاق، بحق أو بباطل، فإذا استنصر بهم مبطل؛ ناصروه ودافعوا عنه، وأجاروه، وافتخروا بآبائهم وأجدادهم، وأنهم قوم لا قِبَلَ لأحد بهم، فيكون لهم سمعة عند الناس، وهذا أحد أسباب النعرات والدعاوى الجاهلية.

وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية -كما تقدم النقل عنه- من «أن بعض الرؤساء من أهل البادية والحاضرة، إذا استجار بهم مستجير، أو كان بينهما قرابة، أو صداقة،

---

(١١٠) صحيح البخاري -كتاب المغازي- باب حديث الإفك، حديث رقم٤١٤١.

(١١١) فتح الباري لابن حجر ٨/٤٧٣- مرجع سابق.

(١١٢) سبق تخريجه ص٩ هامش٣.

فإنهم يرون الحمية الجاهلية، والعزة بالإثم، والسُمعةُ عند الأوباش أنهم ينصرونه، وإن كان ظالما مبطلا، على الحق المظلوم، لا سيما إن كان المظلوم رئيسا يناديهم، ويناويهم، فيرون في تسليم المستجير بهم إلى من يُناويهم ذُلا وعجزا، وهذا على الإطلاق جاهلية محضة»[(١١٣)].

ولما اجتمع أبو جهل وجماعة معه، وفيهم الأخنس بن شريق، وأبو سفيان، استمعوا ذات ليلة لقراءة رسول الله ﷺ، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى نُدرك هذا؟ والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه»[(١١٤)].

فانظر إلى الهوى، وحب السمعة، كيف أبقاهم في جاهليتهم، وجعلهم من دعاتها.

ولهذا، فإن المتبع لهواه، قد يُقدم من لا يستحق التقديم، فينشأ عن ذلك إحنٌ وعصبيات جاهلية، كما هو واقع ومشاهدٌ لا سيما في عصرنا الحاضر، في التعيينات والولايات ونحوها.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره؛ لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة، أو صداقة، أو مرافقة في بلد، أو مذهب، أو طريقة، أو جنس: كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو لرشوة يأخذها منه، من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على

---

(١١٣) مجموع الفتاوى ٣٢٦/٢٨- مرجع سابق.

(١١٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٦/١-تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ الشلبي- الطبعة الثانية- ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م- شركة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- مصر.

الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نُهي عنه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[١١٥]، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[١١٦]، فإن الرجل لحبه لولده، أو لعتيقه، قد يؤثره في بعض الولايات، أو يعطيه ما لا يستحقه، فيكون قد خان أمانته...»[١١٧].

كما أن الهوى وطلب السمعة، جعل (بعض) الناس، يتخذ من المسابقات الشعرية عبر القنوات الفضائية، وسيلة لظهورهم وافتخارهم، بل حتى الحيوانات كالإبل ونحوها، اتُّخذت عند بعض الناس مهرجانات قبلية، فنتج عن ذلك دفع أموال طائلة، واصطفاف كثير من الناس، كل خلف حيوانات قبيلته، وصاحب ذلك قصائد حماسية، ربما تثير النخوة والعصبية عند بعض الناس.

٣- كيد الأعداء من الكفار والمنافقين

يسعى الكفار والمنافقون بجهدهم، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة والتحريش بين المؤمنين، وبالشياطين الذين يؤزونهم إلى الشر أزا، يسعون إلى إلقاء العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وإحياء الإحن وأمور الجاهلية، ولا يألون خبالا في المؤمنين، وربما يستعينون بمن يحسن بهم الظن من المسلمين، ويتخذهم بطانة؛ فيكيدون لأهل الإيمان، بإحياء النعرات الجاهلية، وعزاء الجاهلية، وسنة الجاهلية.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ

---

(١١٥) سورة الأنفال: ٢٧.

(١١٦) سورة الأنفال: ٢٨.

(١١٧) مجموع الفتاوى ٢٤٨/٢٨ – مرجع سابق.

تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[١١٨]، هكذا يخبرنا الله تعالى عن عداوة الكفار والمنافقين لأهل الإيمان، فهم يحسدون المؤمنين، ولا يودون أن ينزل على أهل الإيمان من خير من ربهم، وهم يعلمون أن الأمة ما دامت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها، فإنها ستبقى قوية رفيعة الشأن.

ويعلم أعداء هذه الأمة أيضا أنه ليس هناك شيء يهدم هذه القوة في المؤمنين، مثل إثارة النعرات الجاهلية، والعصبيات: للجنس، أو اللون، أو البلد، أو القبيلة، وأن تفريق المؤمنين هو السبيل لسيادة غيرهم، ولذلك فإنهم لا يألون في إحياء تلك النعرات بأنفسهم، أو بمساعدة من سفه نفسه من المنتسبين إلى الإسلام، وذلك لنشر الأفكار والمبادئ الهدامة، من النعرات العرقية، وإحياء القوميات والعصبيات الجاهلية، والافتخار بالآباء والأجداد، والتوهم أن الشرف جاءهم لنسبهم وحسبهم، فتعود الجاهلية جذعة.

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن تعليق الشرف في الدين بمجرد النسب هو حكم من أحكام الجاهلية، الذين اتبعتهم عليه الرافضة، وأشباههم من أهل الجاهلية، ولهذا ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدا بنسبه، ولا يذم أحدا بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان»[١١٩].

---

(١١٨) سورة آل عمران: ١١٨: ١٢٠.

(١١٩) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٢٣٠ – مرجع سابق.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (١٢٠).

«عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني الثقة، عن زيد بن أسلم، قال: مر شاس بن قيس، وكان شيخا قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم، وإلفتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابا من اليهود كان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، وذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة -والظاهرة: الحرة - فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: «**يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم**

(١٢٠) سورة آل عمران: ٩٩.

أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا» فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع...»[(١٢١)].

كما ذكر ابن كثير أن هذه الحادثة، نزلت في آية آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[(١٢٢)]، وقال رحمه الله: «هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلا معهم، وأمره أن يجلس بينهم، ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرّة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأتاهم، فجعل يسكنهم، ويقول: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح، ﷺ»[(١٢٣)].

فهذا دليل واضح على أن كيد الأعداء من أهم الأسباب لإثارة دعوى الجاهلية، التي تضاد أصلا من أصول الاعتقاد، وهو الاجتماع، والحذر من التفرق والنزاع، المؤدي للفشل، وذهاب الريح.

---

(١٢١) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري ٦/٥٦- تحقيق أحمد محمد شاكر- الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

(١٢٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(١٢٣) تفسير ابن كثير ٢/٧٨- مرجع سابق.

وفي منصوص اعتقاد أهل السنة والجماعة، كما قال ذلك الطحاوي في عقيدته، قولهم: «ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا».

فهذه الدعاوى الجاهلية، تهدم هذا الأصل.

وثمة أسباب أخرى، كالشعور بالنقص، والتقليد الأعمى، ونحوهما، وقد تكون داخلة في الأسباب السابقة، فنسأل الله تعالى أن يجنبنا أسباب الضلال والجهالة.

المبحث الثالث: حكم دعوى الجاهلية

تقدم أن المقصود بدعوى الجاهلية؛ كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو مذهب، ومنه الدفاع عن المستجير، ولو كان ظالما، بدافع العصبية، والحمية.

أما كون الإنسان يعتني بنسبه، ويعرف مكانة أسرته ووطنه في حدود الشرع؛ فلا حرج في ذلك، وليس ذلك من دعوى الجاهلية في شيء؛ إذا لم يترتب على ذلك مفسدة أو ظلم، أو تعدٍ على أحد، أو كبر ومفاخرة.

وقد جاء الإسلام بإبطال جميع دعاوى الجاهلية وفخرها بالآباء والأجداد، فالناس بنو آدم، وآدم من تراب، الناس رجلان: بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[١٢٤].

وقال ﷺ: «**يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء...**»[١٢٥].

---

(١٢٤) سورة الحجرات: ١٣.

ومع أن كل دعوى الجاهلية مذمومة، جاء الإسلام بالنهي عنها؛ إلا أنها ليست سواء، فبعضها يصل إلى الكفر، ومنها دون ذلك.

فالاستعانة بالموتى ودعاؤهم، وطلب المدد منهم، بذكر مناقب المشركين والمعبودين من دون الله، بقصد الدعوة إلى عبادتهم، كل هذا من أعمال الجاهلية ودعواها، وهو كفر مخرج من الإسلام، كما يفعله عباد القبور من الرافضة، الذين يصيحون بأعلى أصواتهم: «يا حسين» ويطلبون منه المدد، والعياذ بالله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾[١٢٦].

ومن الكفر بالله أيضا؛ ظنون الجاهلية بالله تعالى، فإنهم يقولون: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢﴾[١٢٧]، ويطلقون هذه الدعوات الجاهلية، والظنون السيئة، يقول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾[١٢٨].

قال ابن القيم: «وقد فُسّر هذا الظن الذين لا يليق بالله سبحانه، بأنه لا ينصر رسوله ﷺ، وأن أمره سيضمحل، وأنه يسلمه للقتل، وفسّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره، ولا حكمة له فيه، ففسّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسول الله ﷺ، وأن يُظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء، الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ

---

(١٢٥) سبق تخريجه ص٨ هامش٣.

(١٢٦) سورة فاطر: ١٣، ١٤.

(١٢٧) سورة الأحزاب: ١٢.

(١٢٨) سورة آل عمران: ١٥٤.

وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ [(١٢٩)]، وإنما كان هذا هو ظن السوء، وظن الجاهلية، وهو المنسوب لأهل الجهل، وظن غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق... فأكثر الخلق، بل كلهم، إلا من شاء الله، يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم، يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتّش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها؛ رأى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت؛ ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته؛ لرأيت عنده تعتبا على القدر، وملامة له، واقتراحا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم من ذلك؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا[(١٣٠)].

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى، وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء»[(١٣١)].

كما أن من الدعاوى الجاهلية الكافرة؛ طلب تحكيم الآراء والأهواء والاصطلاحات التي هي زبالة الأذهان؛ لتكون بديلا لحكم الله، واعتقاد أنها أحسن

---

(١٢٩) سورة الفتح: ٦.

(١٣٠) تنسب المصادر هذا البيت إلى أكثر من قائل، والأشهر أن قائله: الأسود بن سريع التميمي. ينظر: المعارف لابن قتيبة.

(١٣١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٢٣٥- مرجع سابق.

من حكم الله، وأنها تناسب العصر بخلاف الشريعة، فإن هذا كفر بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١٣٢).

فمن عدل إلى ما سوى حكم الله، فقد عاد إلى الجاهلية، وفي الحديث عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**»(١٣٣).

ومن دعاوى الجاهلية الكافرة؛ عدم الإقرار لرسول الله ﷺ بالرسالة، والتنادي لمنعه من دخول البيت، فإن ذلك من حمية الجاهلية، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ (١٣٤).

قال ابن كثير: «كانت حميتهم أنهم لم يُقروا أنه رسول الله، ولم يُقروا باسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت»(١٣٥)، وثمة دعوات جاهلية، وخصال من عمل الجاهلية، لا تصل إلى الكفر، وإنما هي من الذنوب.

وقد يقع فيها بعض الصالحين، وأهل العلم، بل وقع فيها بعض أفراد الصحابةﷺ، لكنهم سرعان ما يتوبون، ويندمون، ويقلعون عنها، ومن ذلك ما تقدم من قول رسول الله ﷺ لأبي ذر ﷺ لما عيّر بلالا بسواد أمه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»(١٣٦)، وكما في وقوع بعض الناس بشيء من التعصب العارض للأحزاب، والقبائل، والأشخاص، والدواب ونحوها، كل ذلك من عمل الجاهلية؛ لكنه من قبيل الخطأ والذنوب والمعاصي.

---

(١٣٢) سورة المائدة: ٥٠.

(١٣٣) صحيح البخاري –كتاب الديات– باب من طلب دم امرئ بغير حق، حديث رقم ٦٨٨٢.

(١٣٤) سورة الفتح: ٢٦.

(١٣٥) تفسير ابن كثير ٣٣٠/٧– مرجع سابق.

(١٣٦) سبق تخريجه ص٩ هامش٣.

الضابط في معرفة المكفر وغير المكفر من دعاوى الجاهلية

أن كل عمل من أعمال الجاهلية، يتضمن عبادة لغير الله، أو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، أو صرف شيء من العبادة لغير الله، أو سوء ظن بالله ورسوله وتكذيب لهما، ونحو ذلك من نواقض الإسلام؛ فهو كفر بالله، وما سوى ذلك فهو من قبيل الذنوب والمعاصي.

ذلك أن أعمال الجاهلية درجات، فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو ذنب ومعصية، كما أن شعب الكفر، منها ما هو كفر مخرج من الملة، ومنها ما هو ذنب ومعصية(١٣٧).

المبحث الرابع: آثار دعوى الجاهلية

الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية، وقد بُعث رسول الله ﷺ إلى الناس كافة، وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة، من أجل ذلك جاءت الشريعة كاملة، وصالحة لكل زمان ومكان، وخُتمت بمحمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١٣٨)، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١٣٩).

---

(١٣٧) يُنظر كتاب: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة – عبد الله بن محمد القرني-الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م-مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

(١٣٨) سورة المائدة: ٣.

(١٣٩) سورة الأحزاب: ٤٠.

وقد كان رسول الله ﷺ رحيما بأمته، حريصا على نفعهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[١٤٠].

وقد أكد رسول الله ﷺ على هذه الحقيقة فقال ﷺ: «... **قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[١٤١].

عن أبي ذر ﷺ: «**لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما**»[١٤٢].

ولما قيل لسلمان ﷺ: علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة قال: أجل «**لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم**»[١٤٣].

ومن جملة حرصه ﷺ على أمته أن حذرهم من دعوى الجاهلية لما لذلك من **الآثار السيئة لدعوى الجاهلية في الدنيا والآخرة:**

---

(١٤٠) سورة التوبة: ١٢٨.

(١٤١) مسند أحمد بن حنبل – مسند الشاميين– حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ، حديث رقم ١٧١٤٢. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: في تخريجه لأحاديث مسند الإمام أحمد: حديث صحيح بطرقه وشواهده. ينظر: ٣٦٧/٢٨ – الطبعة الأولى– ١٤٢١هـ-٢٠٠١م– مؤسسة الرسالة– بيروت–لبنان.

(١٤٢) مسند أحمد بن حنبل – مسند الأنصار– حديث أبي ذر الغفاري – حديث رقم ٢١٣٦١. وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ٢٩٠/٣٥.

(١٤٣) صحيح مسلم –كتاب الطهارة– باب الاستطابة —حديث رقم ٢٦٢.

ومنها:

١- العذاب والإهانة

وذلك أن النصوص الشرعية نهت عن اتباع دعوى الجاهلية، وحذرت من ذلك، ووصفتها بالنتن والخُبث، كما في الحديث: «**دعوها فإنها منتنة**»(١٤٤)، و«**دعوها فإنها خبيثة**»(١٤٥).

ومخالفة ما دلت عليه النصوص الشرعية عاقبته وخيمة، وآثاره سيئة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(١٤٦).

قال ابن كثير: «فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنا أو ظاهرا ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك»(١٤٧).

فمعصية الله ورسوله سبب للعذاب، بل سبب كل شر في الدنيا والآخرة(١٤٨).

وقد بين رسول الله ﷺ أن عاقبة من لم يَدَعْ دعوى الجاهلية، الإهانة، وأنه يكون أهون على الله من الجعلان، التي تدفع بأنفها النتن.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ، «**إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن**

---

(١٤٤) صحيح البخاري -كتاب تفسير القرآن- سورة البقرة - باب قوله: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، حديث رقم ٤٩٠٥.

(١٤٥) صحيح البخاري -كتاب المناقب- باب ما ينهى من دعوة الجاهلية.

(١٤٦) سورة النور: ٦٣.

(١٤٧) تفسير ابن كثير ٣٠٨/٣- مرجع سابق.

(١٤٨) يُنظر: كتاب الجواب الكافي لابن القيم؛ لمعرفة آثار الذنوب والمعاصي.

رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»»[١٤٩].

قال في عون المعبود: «الجعلان: جمع جَعْل، دويبة سوداء، تُدير الخراء بأنفها... يُوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس، ومواضع الروث، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها، ومن عجيب أمره؛ أنه يموت من ريح الورد، وريح الطيب، فإذا أُعيد إلى الروث عاش، ومن عادته أن يحرس النيام، فمن قام لقضاء حاجته تبعه، وذلك من شهوته للغائط؛ لأنه قوته»[١٥٠].

فليحذر أصحاب النعرات الجاهلية، أن يكونوا أهون على الله من الجعلان، المعلوم حقارتها وخبثها ونتنها، وأن سعيهم وراء هذه العصبية، وتركهم للألفة والجماعة والمحبة بين المؤمنين، يشبه ما يقوم به الجعلان من تتبع النجاسات، والموت عند شم الرائحة الطيبة.

٢- التفرق وذهاب الريح وزوال النعمة

بعث الله تعالى محمدا ﷺ، على حين فرقة وتشتت وعداوات وإحن، فجمعهم الله به، وهداهم به، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[١٥١]، وقال تعالى:

---

(١٤٩) سنن أبي داود كتاب الأدب- أبواب النوم- باب في التفاخر بالأحساب- حديث رقم ٥١١٦. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٥١١٦.

(١٥٠) عون المعبود شرح سنن أبي داود- محمد شمس الحق العظيم آبادي- ١٤/١٦- الطبعة الثانية- ١٩٩٥م- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م.

(١٥١) سورة آل عمران: ١٠٣.

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[١٥٢].

وإثارة النعرات الجاهلية تهدم هذا الأصل العظيم، وهو الاجتماع والفرح بفضل الله؛ فيتفرق المسلمون، ويسعى الشيطان وأعوانه إلى التحريش بين المؤمنين، ويكون من نتيجة ذلك التنازعُ والتفرقُ، والفشل وذهاب الريح، كما قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[١٥٣]، ولما تنازع مهاجريٌ وأنصاريٌ، وتداعوا بدعوى الجاهلية؛ عاتبهم رسول الله ﷺ وحذرهم من عاقبة ذلك، وقال ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم**»[١٥٤].

والراصد لما يقع بين بعض الطلاب، وبعض أفراد المجتمع، من عصبية قبيلة، وما يقع في بعض المنابر الإعلامية والرياضية، من عصبية دعوية حزبية، وأشعار تُثير الضغائن؛ يرى آثار تلك العصبيات السيئة عيانا بيانا.

وقد تجاوزت تلك الآثار التقاطع والتدابر، والملاسنات الكلامية، إلى مضاربات وسفك للدماء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذا والله تنفيذ لمخططات الأعداء، وسبب لتأخر النصر والتمكين، وذهاب قوة المسلمين ووحدتهم.

---

(١٥٢) سورة الأنفال: ٦٣.

(١٥٣) سورة الأنفال: ٤٦.

(١٥٤) سبق تخريجه ص٢٠ هامش١.

٣- تسلط الأعداء

ذلك أن بعض من شغفه أمر الجاهلية، ينصر من استجار به، ويدافع عنه، وإن كان مبطلا، ظالما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وقد ذُكر أنه إنما كان سبب كثير من حروب الأعراب، كحرب البسوس، التي كانت بين بكر وتغلب، إلى نحو هذا.

وكذلك سبب دخول الترك والمغول دار الإسلام، واستيلائهم على ملوك ما وراء النهر وخراسان، كان سببه نحو هذا»[(١٥٥)].

فهذا التفرق وذهاب الريح، وزوال النعم، هو سبب تسلط الأعداء على المسلمين؛ وهذا كله من آثار دعوى الجاهلية، وحميتهم، وعزائهم.

٤- انتشار المبادئ الهدامة، والأفكار الضالة

إذا اجتمع المسلمون على العقيدة الصحيحة، يُحب بعضهم بعضا، وينصر بعضهم بعضا، فإن هذا الاجتماع على كلمة التوحيد؛ يؤتي ثماره اليانعة في الدنيا، والتي تتمثل في التعاون على البر والتقوى، والإيثار والمحبة، ثم تؤتي ثمارها الأخروية في جنات عدن، ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[(١٥٦)].

وأما إذا انتشرت حمية الجاهلية ودعوى الجاهلية؛ فإن المبادئ الهدامة كالقومية والحزبية ونحوهما تكثر، والأفكار الضالة المخالفة للكتاب والسنة تنتشر.

---

(١٥٥) مجموع الفتاوى ٣٢٧/٢٨- مرجع سابق.

(١٥٦) سورة الحجر: ٤٧، ٤٨.

ومن المتقرر: أن الاعتقادات الفاسدة وأهلها، إنما تكثر إذا غلب الجهل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تجدُ الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوي، كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى، وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق؛ ظهرت البدع بحسب ذلك»(١٥٧).

ومن تلك البدع التي ظهرت بسبب تلك الدعوات الجاهلية؛ ظهور الشعارات الحزبية والطائفية، التي هي كالميازيب، تجمع الماء كدرا، وتفرقه هدرا، فالتوى طريق الدعوة إلى الله على كثير من الناس، وصاروا لا ينظرون إلى طريق الدعوة إلى الله إلا بمنظار تلك الجماعات والأفكار، وأسروا أنفسهم في ربقة ما يسمونه (الرمز)، وضيق الشعار، فنشأت من جراء ذلك المذاهب الهدامة، والأفكار الضالة، فأقوام ابتلعهم التغريب؛ لما لم يجدوا أمامهم رؤية صحيحة، بسبب تلك الدعوات الحزبية الجاهلية، فدخلوا تحت الشعار الخاص في المنحنى الحزبي، وقوم يترامون على أبواب الأحزاب؛ فتخفق أقدامهم في أجواف الجماعات، بين الولوج والخروج من جماعة إلى أخرى، فخرجوا من سعة الإسلام إلى القوالب الضيقة، وتبع ذلك تغيرٌ في المفاهيم، بل وفي لغة العلم، فغُيرت المصطلحات الشرعية، إلى مصطلحات مستحدثة، لا سيما تلك التي يتمسح بها، ويكتسب العديد من الناس ببريقها مع خوائها.

وعليه: فالمتعين التعبير بالألفاظ الشرعية، بدلا من شعار الحزبيات والطوائف.

فيقال: الفرق، ولا يُقال: الجماعات الإسلامية؛ لأن جماعة المسلمين واحدة، لا تتعدد، وما عدا جماعة المسلمين التي كان عليها رسول الله ﷺ وصحابته؛ فهم من الفرق.

---

(١٥٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/٢٠- مرجع سابق.

ولنعبر: بالدعوة إلى الله، والجهاد، والنفير، وتنصيب الولاة، بدلا من: الانقلاب الروحي، والانتفاضة؛ إذ الإسلام دين رحمة وهداية، لا عسف ولا جور.

وأما الانتفاضة: فلا ينتفض إلا العليل، كالمحموم والرعديد.

وليُعبر: بالإنذار والبلاغ، بدلا من: التحرك، والحركة الإسلامية، والفقه الحركي؛ فإن التحرك يطلق في لسان العرب على كل متحرك ولو لم يبارح مكانه، ولو لم يكن له روح؛ كتحرك الأشجار.

ولنعبر بمراتب الدين: الإسلام، الإيمان، الإحسان، بدلا من: الضمير، الوجدان، الإنسانية.

فهذه المصطلحات المستحدثة تثير الشبهات، وتبعث الخصومات، وتُلبس الحق بالباطل، وتفصل عن مآثر الأسلاف»[(١٥٨)].

ومن المعلوم: أن خير الهدي هدي محمد ﷺ، ولا يجوز أن نستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير.

والمقصود أن الدعاوى الجاهلية، لها آثار سيئة في بث الأفكار والمذاهب المنحرفة، والقوالب الحزبية الضيقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الخامس: الدواء الشافي لدعاوي الجاهلية

دعوى الجاهلية وحميتها وعزاؤها وسنتها وأمورها، داءٌ وبلاء، حذر منه النبي ﷺ؛ لما له من آثار سيئة على الفرد والمجتمع في الدين والدنيا، كما تقدم، ولكن

(١٥٨) يُنظر: كتاب الانتماء إلى الفرق والأحزاب للشيخ بكر أبو زيد.

جرت سنة الله تعالى أن لكل داء دواء، كما قال النبي ﷺ: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**»(١٥٩).

وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ**»(١٦٠).

فمن الدواء ما يلي:

١- الاعتصام بالكتاب والسنة

فالنصوص الشرعية عالجت هذه المشكلة من جذورها، ومنها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾(١٦١)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(١٦٢)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾(١٦٣) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾(١٦٤).

---

(١٥٩) صحيح البخاري -كتاب الطب- باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث رقم ٥٦٧٨.

(١٦٠) صحيح مسلم -كتاب السلام- باب لكل داء دواء واستحباب التداوي — ٢٢٠٤.

(١٦١) سورة النساء: ١.

(١٦٢) سورة الحجرات: ١٠.

(١٦٣) سورة الحجرات: ١١.

(١٦٤) سورة الحجرات: ١٣.

وقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت؟**»، قالوا: بلغ رسول الله...»[١٦٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ، «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**»»[١٦٦].

فهذه الآيات والأحاديث، وما جاء في معناها هي أكبر موعظة، وأحسن دواء، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهي تبين الغاية من الخلق، وهي التقوى، التي يجب الانصراف إلى تحقيقها، والبعد عن كل ما يشغل عن القيام بها.

٢- التواضع والعدل

وهذان الأمران يجتثان بإذن الله، الفخر والخيلاء، والعصبية الجاهلية، كما في قوله ﷺ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[١٦٧].

قال ابن القيم: «وكان النبي ﷺ يمرُّ على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأَمَةُ تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»[١٦٨].

---

(١٦٥) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار- حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم ٢٣٤٨٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح ٤٧٤/٣٨.

(١٦٦) سنن أبي داود كتاب الأدب-أبواب النوم- باب في التفاخر بالأحساب- حديث رقم ٥١١٦. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٥١١٦.

(١٦٧) صحيح مسلم -كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهله- باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم ٢٨٦٥.

كما كان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويُعلّف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجته، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويُجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء»[١٦٩].

فمن حمل نفسه على التخلق بهذه الصفات، فهو بعيد عن الفخر والخيلاء واحتقار الآخرين، لأن التواضع يدعو للانقياد إلى الحق، وخفض الجناح، فلا يرى لأحد عليه فضلا، ولما سئل الفضيل رحمه الله عن التواضع قال: «يخضع للحق، وينقاد له، ويقبله ممن قاله»[١٧٠].

وقال ابن القيم: «التواضع هو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلا، ولا يرى له عند أحد حقا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله ﷻ مَن يُحبه ويُكرمه ويقربه»[١٧١]، ولا ريب أن هذا التواضع، من أنفع الأدوية المزيلة لحمأة الكبر، وعُبيّة الجاهلية.

كما أن العدل كذلك، ينفي التحزب والطائفية، والحمية الجاهلية، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[١٧٢].

---

(١٦٨) مدارج السالكين ٣٢٩/٢- تحقيق محمد حامد الفقي- الطبعة الثانية- ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م-دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

(١٦٩) المرجع السابق نفس النقل- مرجع سابق. وانظر: صحيح البخاري -كتاب الأدب- باب الكبر - حديث رقم٦٠٧٢. وانظر في سلامه ﷺ على الصبيان: مصنف ابن أبي شيبة -كتاب الأدب- في السلام على الصبيان ٢٥١/٥، حديث رقم٢٥٧٧٧.

(١٧٠) مدارج السالكين ٣٢٩/٢- مرجع سابق.

(١٧١) الروح لابن القيم ٢٣٣- دط-١٣٩٥هـ-١٩٧٥م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(١٧٢) سورة المائدة: ٨.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ، يوالي على متابعته ويُعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان، ومن عُرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يخص أحدا بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدم من قدّم الله تعالى ورسوله ويُفضل من فضّله الله ورسوله»(١٧٣).

ومن العدل ألا ينصر قومه في الباطل، وإنما عليه منعهم من الظلم، فذلك هو النصر المحمود، قال ﷺ: «**مثل الذي ينصر قومه في الباطل، كبعير تردى في بئر، فهو يُجرَّ بذنبه**»(١٧٤).

٣- استعمال الألفاظ القوية عند الحاجة

«المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة، ما نحمد معه ذلك التخشين»(١٧٥).

«وكل شيء في موضعه حسن، وحيث أمر الله ورسوله بالإغلاظ على المتكلم؛ لبغيه وعدوانه على الكتاب والسنة؛ فنحن مأمورون بمقابلته، لم نكن مأمورين أن نخاطبه بالتي هي أحسن»(١٧٦).

ومن دعى بدعوى الجاهلية، وجرى تنبيهه ووعظه بالتي هي أحسن، وبُينت له الأدلة من الكتاب والسنة في ذلك، فلم يرعوي، فقد يكون من الدواء الإغلاظ له

(١٧٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥١٢/١١- تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – ١٤١٦هـ-١٩٩٥م- طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

(١٧٤) أبو داود، حديث رقم ٥١٢١. وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١١٥٢١.

(١٧٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٥٤/٢٨.

(١٧٦) مجموع الفتاوى ٢٣٢/٣.

بالقول، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «**من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**»[(١٧٧)].

قال ابن القيم: «وكان ذكرُ -هَنِ- الأب هاهنا أحسن؛ تذكيرا لهذا المتكبر بدعوى الجاهلية، بالعضو الذي خرج منه، وهو -هنُ- أبيه، فلا ينبغي أن يتعدى طوره»[(١٧٨)].

قال أبو جعفر الطحاوي: «ففي هذا الحديث أمر رسول الله ﷺ فيمن يدعو بدعاء الجاهلية، ما أمر به فيه. فقال قائل: كيف تقبلون هذا عن رسول الله ﷺ، وأنتم تروون عنه: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء من النار**»[(١٧٩)]؟...فكان جوابنا: أن البذاء المراد في هذا الحديث، خلاف البذاء المراد في الحديث الأول، وهو البذاء على من لا يستحق أن يُبذأ عليه، فمن كان منه ذلك البذاء؛ فهو من أهل الوعيد الذي في الحديث المذكور ذلك البذاء فيه، وأما المذكور في الحديث الأول: فإنما هو عقوبة لمن كانت منه دعوى الجاهلية»[(١٨٠)].

فالذي يتكبر على غيره ينبغي ردعه؛ لئلا يعود، وفي ذلك إصلاح له.

---

(١٧٧) المعجم الكبير للطبراني - ومما أسند أبي بن كعب رضي الله عنه، حديث رقم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٥٦٧. وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه لأحاديث مسند الإمام أحمد، ولفظه: «**إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَزِي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا**». ١٥٧/٣٥، حديث رقم ٢١٢٣٣.

(١٧٨) زاد المعاد لابن القيم ٤٣٨/٢.

(١٧٩) سنن ابن ماجه -كتاب الزهد- باب الحياء، حديث رقم ٤٢٥٩. وصححه الشيخ الألباني في صحيح سن ابن ماجه، حديث رقم ٥٤٥٩.

(١٨٠) شرح مشكل الأثار لأبي جعفر الطحاوي ٢٣٤/٨، ٢٣٥- تحقيق شعيب الأرنؤوط- - الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ-١٩٩٤م- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

قال المناوي: «فإنه جدير بأن يُستهان به، ويُخاطب بما فيه قُبح وهُجر؛ زجرا له عن فعله الشنيع، وردعا له عن قوله الفظيع»[(١٨١)].

ونظير هذا قول أبي بكر الصديق ﷺ لعروة بن مسعود الثقفي في الحديث الطويل: «**امصص ببظر اللات**»[(١٨٢)].

فهذا لقبح فعله وقوله، قابله الصدّيق ﷺ بكلام يزجره، والتصريح بالعورة يجوز عند الضرورة، ولكل مقام مقال.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فإن مما يُسطر في نهاية هذا البحث ما يلي:

١ - أن الجاهلية هي ما كانت قبل البعثة النبوية، وأما بعد البعثة؛ فليس هناك جاهلية عامة، وإنما قد تكون جاهلية خاصة، ببعض الأشخاص أو البلدان ونحوهما؛ إذ لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين.

٢ - أن كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية ودعواها، وقد جاء الإسلام بإبطالها.

٣ - أن انتساب الرجل إلى قبيلته ووطنه، ونصرتهم في الحق ليس من الجاهلية في شيء، ولم يأت الإسلام بإهدار القبيلة، ولا نهى عن الانتساب إليها، بل حث على تعلم الأنساب وحفظها، وإنما جاء الإسلام بإهدار العصبية الجاهلية.

---

(١٨١) فيض القدير لزين الدين المناوي١/٣٨١-الطبعة الأولى- ١٣٥٦هـ-المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

(١٨٢) صحيح البخاري -كتاب الشروط- باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم ٢٧٣١.

٤ - أن من أذل نفسه لله فقد أعزها، ومن بذل الحق من نفسه؛ فقد أكرم نفسه، ومن اعتز بالظلم؛ فقد أذل نفسه وأهانها.

٥ - أن الألفاظ الشرعية إذا اتخذت للمغالبة والمخاصمة وانتصار كل طائفة على الأخرى؛ كان ذلك من دعوى الجاهلية، وإذا كان ذلك بألفاظ محدثة، فمن باب أولى، بل ذلك أضل سبيلا.

٦ - أن الظلم والجهل من أهم أسباب دعوى الجاهلية، ومن الجهل إثارة المسابقات الشعرية التي تثير القبائل على بعض، وكذا التحزب للجماعات والأشخاص ونحوها.

٧ - أن دعوى الجاهلية كلها مذمومة، فمنها ما يصل إلى الكفر، ومنها ما هو من قبيل الذنوب والمعاصي.

٨ - أن للجاهلية آثارا سيئة على الفرد والمجتمع، فهي تفرق المجتمع، وتزيل النعمة، وتسلط العدو، وتوجب سخط الله ومقته.

٩ - أن من علاج دعوى الجاهلية، الاعتصام بالكتاب والسنة، ومعرفة الغاية التي خلق من أجلها الخلق، وتحقيق التوحيد، والإعراض عما سوى ذلك، مما يضر ولا ينفع.

١٠ - أن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا يتم إزالة الوسخ إلا بنوع من الخشونة التي توجب النظافة، مما يحمد معه ذلك التخشين، ومن ذلك: قول رسول الله ﷺ: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**» ففي ذلك تذكير للمتكبر بالعضو الذي خرج منه فلا ينبغي أن يتعدى طوره.

التوصيات

١ - أوصي بإقامة دورات علمية، وملتقيات حوارية، في المدارس والجامعات لتذكير الطلاب بخطورة التعصب ودعوى الجاهلية.

٢ - أوصي أن تكون الكفاءة، هي المعيار الوحيد في القبول لأي عمل، أو دراسة، أو ولاية، ولا اعتبار لما سوى ذلك من البلد، أو القبيلة، أو قرابة، أو صداقة، أو حُبٍّ أو بغض، وليكن القدوة في ذلك طلاب العلم وحملة الشريعة، وليستحضروا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [١٨٣] وقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره؛ لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة، أو صداقة، أو مرافقة في بلد، أو مذهب أو طريقة، أو جنس؛ كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو لرشوة يأخذها من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما؛ فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهى الله عنه، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾»[١٨٤].

فالتطبيق العملي له من التأثير، ما ليس في الكلام النظري، وفي كل خير.

٣ - إلغاء كل ما يدعو للإثارة والنعرات والحزبيات، ومن ذلك: مهرجانات التعصب القبلية، والتحزبات الدعوية للأشخاص والفرق.

---

(١٨٣) سورة الأنفال: ٢٧.

(١٨٤) سورة الأنفال: ٢٧.

المصادر والمراجع

[١] *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان* للإمام ابن القيم - تحقيق محمد حامد الفقي - الطبعة الثانية — ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م - دار المعرفة - بيروت — لبنان.

[٢] *اقتضاء الصراط المستقيم* للإمام ابن تيمية -تحقيق د.ناصر العقل - مكتبة الرشد - الرياض - السعودية.

[٣] *الإبانة الكبرى* لابن بطة -تحقيق رضا معطي وآخرين - دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية.

[٤] *البداية والنهاية* للإمام ابن كثير -.تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ -١٩٩٧م - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - السعودية.

[٥] *التعريفات* للجرجاني - ضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر - الطبعة الأولى - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان. وشرح الكواكب للسيوطي ١/ ٤٢.

[٦] *التمهيد* لابن عبد البر -تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري - ١٣٨٧هـ - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.

[٧] *الروح* لابن القيم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

[٨] *السياسة الشرعية* لابن تيمية -الطبعة الأولى — ١٤١٨هـ - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد — السعودية .

[٩] *السيرة النبوية* لابن هشام -تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ الشلبي - الطبعة الثانية - ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م - شركة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - مصر.

[١٠] *الشرح الممتع* لابن عثيمين -الطبعة الأولى - دار ابن الجوزي - السعودية.

[١١] *المغني* لابن قدامه - مكتبة القاهرة -مصر.

[١٢] *المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج* للإمام النووي -الطبعة الثانية - ١٣٩٢هـ -دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

[١٣] *تاج العروس* للزبيدي - تحقيق مجموعة من المحققين - طبعة دار الهداية - السعودية.

[١٤] *تحفة المودود* - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - الطبعة الأولى - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م - مكتبة دار البيان - دمشق — سوريا.

[١٥] *تفسير الإمام ابن كثير* - تحقيق محمد حسين شمس الدين - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ -دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

[١٦] *تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد* للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - تحقيق زهير الشاويش - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - المكتب الإسلامي - بيروت -دمشق.

[١٧] *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* للسعدي -تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق — الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م - مؤسسة الرسالة.

[١٨] *جامع البيان في تأويل القرآن* للإمام الطبري - تحقيق أحمد محمد شاكر - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

[١٩] حكم *الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية* – للشيخ بكر عبد الله أبو زيد - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م - دار الحرمين - القاهرة - مصر.

[٢٠] *زاد المعاد في هدي خير العباد* للإمام ابن القيم - تحقيق شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط - ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م - مؤسسة الرسالة بيروت لبنان - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت.

[٢١] *سنن الإمام أبي داود* – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دط - دت - المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان.

[٢٢] *سنن الإمام الترمذي* (الجامع الصحيح) – تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي - دط -دت - مصطفي البابي الحلبي - القاهرة - مصر.

[٢٣] *سنن الإمام الدارمي* – تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ -دار الكتاب العربي - بيروت – لبنان.

[٢٤] *السنن الكبرى* للإمام لبيهقي – ط الأولى - ١٣٤٤هـ -مجلس دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد – الهند.

[٢٥] *السنن الكبرى* للإمام لنسائي - تحقيق حسن عبد المنعم شلبي–– إشراف العلامة: شعيب الأرناؤوط - تقديم: عبد الله التركي - ط الأولى - ١٤٢١هـ - مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

[٢٦] *شرح الأربعين النووية* لابن عثيمين -طبعة دار الثريا - السعودية.

[٢٧] *شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم* - الطبعة الثانية - ١٣٩٢هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت -لبنان.

[٢٨] *شرح رياض الصالحين* للشيخ محمد بن عثيمين - طبعة ١٤٢٦هـ - دار الوطن للنشر – الرياض - السعودية.

[٢٩] *شرح صحيح البخاري* لابن بطال - تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم - الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م - مكتبة الرشد - الرياض - السعودية.

[٣٠] *شرح مسائل الجاهلية* للشيخ صالح الفوزان -الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٥م - دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية.

[٣١] *شرح مشكل الآثار* لأبي جعفر الطحاوي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ -١٩٩٤م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

[٣٢] *صحيح البخاري* – تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ - دار طوق النجاة – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

[٣٣] *صحيح مسلم* - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت - لبنان.

[٣٤] *عون المعبود شرح سنن أبي داود* - محمد شمس الحق العظيم آبادي - الطبعة الثانية - ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م.

[٣٥] *فتح الباري* لابن حجر - تخريج وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، مع تعليقات للشيخ عبد العزيز بن باز رحمهم الله - ١٣٧٩هـ - دار المعرفة – بيروت – لبنان.

[٣٦] *فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب* - لأبي المعالي محمود شكري الألوسي (مطبوع مع رسالة قطف الثمر لصديق حسن خان) -تقديم وتعليق محب الدين الخطيب - الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

[٣٧] *فيض القدير* لزين الدين المناوي -الطبعة الأولى - ١٣٥٦هـ -المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

[٣٨] *كشف المشكل من حديث الصحيحين* لأبي الفرج ابن الجوزي - تحقيق علي حسين البواب - دط -دت - دار الوطن - الرياض - السعودية.

[٣٩] *لقاء الباب المفتوح* للشيخ ابن عثيمين - لقاءات كان الشيخ عليه رحمة الله يعقدها بمنزله كل خميس، بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ.

[٤٠] *مجموع الفتاوى* لابن تيمية - تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – ١٤١٦هـ -١٩٩٥م - طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

[٤١] *مجموع الفتاوى* لابن تيمية - تحقيق أنور الباز - عامر الجزار - الطبعة الثالثة - ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م - دار الوفاء - المنصورة – مصر.

[٤٢] *مختار الصحاح* لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - تحقيق محمود خاطر - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ -١٩٩٥ - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - لبنان.

[٤٣] *مدارج السالكين* - تحقيق محمد حامد الفقي - الطبعة الثانية - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م -دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

[٤٤] *مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح* - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس - الهند.

[٤٥] *مسند أحمد بن حنبل* - تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين - ط الأولى - ١٤٢١هـ - مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

[٤٦] *مقاييس اللغة* لابن فارس -تحقيق عبد السلام محمد هارون - طبعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - اتحاد الكتاب العرب.

[٤٧] *منهاج السنة* لابن تيمية - تحقيق د.محمد رشاد سالم - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ -مؤسسة قرطبة.

[٤٨] *نقد القومية العربية* للشيخ ابن باز -الطبعة السادسة - ١٤١١هـ -الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

The Ignorance Allegations
Decadal study

Dr. Ahmad Ibn Jazzaa Ibn Mohammad AL-Rodiaman
The assistant professor Islamic culture department
University of Hail, Education college

Abstract. Islam eliminated the haughtiness, and pad proud with tribes, which were the logo of ignorance (the era before Islam). The "ignorance is the situation of a whole nation, before the guidance of Allah. This is the general Ignorance, and that type of Ignorance was removed by Islam. The other type is the special Ignorance, which occurs from person, or prevail a country.

Islam treatment with the thought, rules and the ethics of Ignorance, and blamed the Ignorance Allegations.

The Ignorance allegations are the zeal to tribe, family, genus, doctrine and brotherhood, which clash with Islam and Quran.

The Ignorance Aspects are:

1- Pad proud with nobil families, and defamation in ancestry.
2- Summoning according to tribes, parties or leaders.
3- Blind banners, (which means unknown armed sects), and the fanaticism for the ancient relationship, before Islam.

We can summarize the reasons of Ignorance allegations in:

1- Injustice and ignorance.
2- Seeking reputation and what souls desire.
3- The machinations of Infidels and hypocrites.

And the Ignorance allegations is not one thing, it can be blasphemy that get Moslem out of his religion. For example, asking the dead people, and seeking the help from them. And the thoughts of Ignorance, Allah the Almighty said: “And [remember] when the hypocrites and those in whose hearts is disease said, " Allah and His Messenger did not promise us except delusion”, and arbitration of the human laws, instead of the law (Share’a) of Allah.

The other type of Ignorance allegations are sins and errs, for example, fanaticism to tribes, families, parties, and persons.

The rule in identifying what makes person disbeliever or not from the Ignorance allegations is: every deed from the deeds of Ignorance, includes worshiping to something except Allah, or denial something is certainly in Islam, or directing a worship to except Allah, or mistrust in Allah, and his messenger, and refusing their orders, all of that are getting out of Islam, and all what except of that are sins.

The effects of Ignorance allegations are:

1- depressed life and dishonor. (the prophet ‘peace be upon him, describe it as :Skunk and malignant.
2- Disunion and departing of strength.
3- The prevalence of enemies.

4- Propagation of Destructive principles, and stray thoughts.
5- And we can summarize the effective treatment:
6- Holding on and the devotion to the Holy Quran and the traditions of the prophet ‘peace be upon him’.
7- Humility and justice.
8- Verbal scolding to the people Ignorance allegations.

Finally, I ask Allah to restore this nation to the pure Islamic faith, and lofty Islamic ethics.

And peace upon the messengers, And praise to Allah, Lord of the worlds.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد (٣)، ص ص ٩٥١-٩٩٨، (رجب ١٤٣٦هـ/إبريل ٢٠١٥م)

احتكار الدواء
في ضوء المستجدات المعاصرة

د. إِسْمَاعِيل غَازي مَرْحَبا
الأُستاذُ المشارك، قسمُ الشريعةِ، كليةُ الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

ملخص البحث. إن موضوع احتكار الدواء لم يدرس من قبل الفقهاء، وما نشهده من تطورات متلاحقة في عالم الدواء وحاجة شرائح واسعة من الناس إليه بشكل أوسع وأكبر من ذي قبل، فإن الضرورة داعية لمثل هذه الدراسة.

فقام الباحث بتعريف الاحتكار، وبيان أهمية الدواء في حياة الناس في زماننا، ثم تحدث عن دخول الدواء في في نوع المادة التي يجري فيها الاحتكار في ضوء المستجدات الطبية، وعن حكم الجالب للسلع والاحتكار في بلد صغير في ضوء المستجدات الحياتية.

وعرج الباحث بعد ذلك على أهم أشكال الاحتكار القديمة والمعاصرة، وأهم أسباب وآثار احتكار الدواء.